الفصل الرابع

مدخل إلى الانتمـــاء

مفهوم الانتماء.

أبعاد الانتماء.

غريزة الانتماء.

الدافع للحب والانتماء.

الإحساس بالانتماء.

هرم ماسلو وعلاقته بالحب والانتماء.

المشاعر الإنسانية الجماعية وتحرك التاريخ.

أسس الانتماء وفوائده.

حاجات الانتماء ومقدماته.

عرض قضية الانتماء من منظور فلسفى.

الفصل الرابع
مدخل إلى الانتماء

مفهوم الانتماء:

والانتماء ـ Belongingness بمفهومه البسيط يعنى الارتباط والانسجام والإيمان مع المنتمى إليه وبه، وعندما يفتقد الانتماء لذلك فهذا يعنى أن به خللًا ومع هذا الخلل تسقط صفة الانتماء، والانتماء كمفهوم ينتمى إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية ويعنى الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع آخر وفى الحقيقة أن دافع الانتماء (الجوع الاجتماعى) إذا توافر لدى الفرد وتحفز يبلغ من القوة أنه يستطيع أن يعدل كثيرًا من سلوك الفرد حتى يصبح سلوكه مطابقًا لما يرتضيه مجتمعه، فعندما ينضم الفرد إلى الجماعة يجد نفسه، فى كثير من الأحيان، مضطرًا إلى التضحية بكثير من مطالبه الخاصة ورغباته فى سبيل الحصول على القبول الاجتماعى من أفراد الجماعة وتجدد يساير معايير الجماعة وقوانينها وتقاليدها فيتوحد الفرد مع الجماعة فيرى الجماعة وكأنها امتداد لنفسه يسعى من أجل مصلحتها ويبذل كل جهد من أجل إعلاء مكانتها ويشعر بالفوز إذا فازت أو بالأمن كلما أصبحت آمنة، والانتماء الوطنى يعتبر من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة ـ National Character على شخصية الفرد وتطابق شخصيته مع النمط الثقافى السائد. أما إذا لم يتوفر دافع الانتماء يصبح الفرد فى حالة حياد عاطفى بالنسبة للآخرين أو المجتمع، ومعنى ذلك إما أن ينحصر اهتمامه فى ذاته أو يصبح فى حالة ركود وعدم نشاط لعدم توفر الدافع على أداء فعل معين والشخص غير المنتمى قد انفصل عن ماضيه وحاضره ولم يعد يهتم بمستقبله.

ويعرف الانتماء بأنه «النزعة التى تدفع الفرد للدخول فى إطار اجتماعى فكرى معين بما يقتضيه هذا من الالتزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه فى مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى». وورد فى معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة، حيث يرغب الفرد فى الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص

شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادى أو الشركة. ولعل أنقى حالات الانتماء وأرقاها، الانتماء الفكرى والذى يتجاوز بمضمونه كل الحالات الأخرى، والتواصل على هذا الأساس له جذوره وقوته أكثر بكثير من الحالات الأخرى. الانتماء هو شعور بالترابط وشعور بالتكامل مع المحيط، فالانتماء أساس الاستقرار.

التعريفات اللغوية لمفهوم الانتماء والمفاهيم المتقاربة:

- يحدد القاموس المحيط تعريف الانتماء على أنه انتساب الفرد إلى جماعة أو أسرة.
- وأما بالنسبة لاستخدام هذا المفهوم فى اللغات الأجنبية نجد أن (معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية) قد ترجمت كلمة انتماء بالعربية إلى كلمة ـ Belongingness باللغة الإنجليزية إلى كلمة Appurtenance باللغة الفرنسية ويشرحها قائلًا المقصود بذلك انتماء الفرد إلى الجماعة كالأسرة أو النادى أو الشركة أو المصنع ويسعى أن تكون عادة جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوجد نفسه بها.
- ويستخدم مفهوم الانتماء بمعنى الانتساب إلى منطقة جغرافية التى ينتسب إليها الفرد.
- وفى محتوى ثقافى أخر نتحدث عن الانتماءات الفكرية (أى ما يعتنقه الشخص من أفكار أو معتقدات) فنقول هذا يمينى أو يسارى أو ينتمى إلى الفكر الاشتراكى أو الانتماءات الحزبية.
- يعنى الانتماء لغويًا الإنسان سواء كان أسريًا أو بيئيًا أو فكريًا أو مؤسسيًا يتداخل مفهوم الانتماء مع بعض المفاهيم الأخرى مثل مفهوم الولاء والوطنية والشخصية والقومية.
- الانتماء ببساطة هو علاقة الفرد بالمحيط الذى ينتسب إليه كما أن هناك ارتباطًا لغويًا من كلمة الانتماء وكلمة النمو والنماء لأن الفرد يتنمو شخصيته جسميًا وفكريًا ووجدانيًا واجتماعيًا كما ينتمى إلى بيئته بداية من أسرته وحتى المجتمع العام الذى يعيش فيه.

وقد تم تعريف الانتماء فى إحدى الدراسات بأنه:

هو اتجاه إيجابى مدعم بالحب يستشعره الفرد تجاه وطنه مؤكدًا وجود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن باعتباره عضوًا فيه ويشعر نحوه بالفخر والولاء ويعتز بهويته وتوحده ولا يتخلى عنه وإن اشتدت به الأزمات.

ويمكن تقديم التعريفات المتعددة التى طرحت للانتماء أيضًا من خلال ثلاث مناظير أساسية (المنظور اللغوى ـ الاجتماعى ـ السيكولوجى).

- **فى المنظور اللغوى**: يقال انتمى إليه أى انتسب إليه ويشترط الشعور بالحب والفخر والسعادة بالانتساب إليه لما يولده هذا الانتساب من معانى العزة والشرف ويتضح من التعريف اللغوى للمفهوم تأكيده للدور الوظيفى لعلاقات الانتماء فى مساندة الفرد وتعضيده.
- **أما المنظور الاجتماعى**: فيستخدم الانتماء بمعنيين مختلفين يشير الأول إلى العلاقة المنطقية بين الفرد والصنف الذى هو أحد أفراده.
- فيعرف ثور نديك الانتماء بأنه الارتباطات التى تحدث بتلقائية وسهولة بين الأشياء وبعضها فيفترض ثور نديك أن العناصر أو المنبهات التى تتشابه بطريقة يمكن ملاحظتها ترتبط أو تنتمى لبعضها البعض بشكل واضح يسمح بإدراكها وتعلمها كوحدة واحدة.
- أما المعنى الثانى للانتماء فيشير إلى العلاقة بين الفرد والأشياء التى يملكها.
- **أما المنظور السيكولوجى**: فيعرف الباحثون السيكولوجيين الانتماء بأنه شعور الفرد بأنه موضع قبول واستحسان الآخرين وأن له مكانه الآمن فى جماعة أو مجتمع معين.
- يعرف إنجلش وإنجلش الانتماء بأنه اتجاه يستشعر الفرد من خلاله أنه جزء من الجماعة وتوحد معها ومقبول من أفرادها، وبهذا فلا يعد نقص الانتماء مكافئًا للمفهوم السيكولوجى المعروف بالاغتراب ـ Alienation.
- فالاغتراب يصف العلاقة بين الفرد والبيئة الاجتماعية أو العالم الاجتماعى ككل.

فى حين يصف الانتماء أنه علاقة الفرد فى مرحلة معينة من العمر لجماعة محددة وصفًا نفسيًا سلوكيًا يكشف عن درجة الارتباط بهذه الجماعة أو تلك.

- والانتماء حاجة نفسية لدى الفرد ولكنها شأنها شأن غيرها من الحاجات النفسية والطبيعية لا تتحقق تلقائيًا، كما أنها لا تتخذ نمطا سلوكيًا واحد للتعبير عن نفسها بل تتعدد تلك الأنماط اتساعًا وصفيًا وقد تشجع التنشئة على ازدهار دوائر التعبير عن الانتماء وتكاملها كما أن التنشئة تشع على تضارب تلك الدوائر وتناقضها.
- والانتماء لا يعترف بالزمان أو المكان فالفلاح ينتمى إلى أرضه وطالب البعثة ينتمى إلى وطنه وهو على بعد ألاف الأميال منه، والانتماء موجود فى كل دروب الحياة وشتى ميادينها والانتماء تبعية ورابطة.
- والانتماء ـ Belongingness بمفهومه البسيط يعنى الارتباط والانسجام والإيمان مع المنتمى إليه وبه، وعندما يفتقد الانتماء لذلك فهذا يعنى أن به خللًا ومع هذا الخلل تسقط صفة الانتماء، ويعرف الانتماء بأنه «النزعة التى تدفع الفرد للدخول فى إطار اجتماعى فكرى معين بما يقتضيه هذا من الالتزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه فى مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى.
- الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة؛ حيث يرغب الفرد فى الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة.
- تعريف «درموراى» للانتماء: هو رغبة المرء فى أن يكون مع الناس فى علاقة حب وصداقة، وهو اهتمام من شخصية أو أكثر من الشخصيات بأن تقيم أو تحافظ أو تستعيد علاقة ود إيجابية مع شخص آخر.
- والانتماء هو شعور لدى كل فرد يشعر من خلاله أنه جزء من المجتمع الذى يعيش فيه ويفتخر بارتباطه بمجتمعه، وحيث تربطه بأهله أواصر كثيرة. إنه كلما يستشعر المرء الحب له يكون فى الوقت نفسه منتميًا له فنحن ننتمى إلى وطننا لأن وجداننا قد تبلور حول المفهوم المتعلق به فأحببناه أو صرنا منتمين له.

وقد ورد فى بعض المراجع تعريفات الانتماء على النحو التالى:

يرجع الانتماء إلى أصل الفعل نمى وقال الأصمعى نميت الحديث مخففًا أى أبلغته على وجه الإصلاح، وقد اتفق فى المعنى نفسه معجم لسان العرب الذى يرده إلى الفعل نمى والنماء بمعنى الزيادة، وفى اللغة الإنجليزية اتفق كل من قاموس المورد وقاموس ـ Webester وقاموس Long man على أن كلمة Belonginess مشتقه من الفعل Belong بمعنى ينتمى أو ذو علاقة وثيقة. ويعرف معجم مصطلحات العلوم الانتماء بأنه ارتباط الفرد بجماعة ويسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية ويتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها كالأسرة والنادى والشركة... إلخ كما يرى أن الانتماء يرتبط بالولاء.

وهناك بعض الموسوعات قد تساوت بين المصدرين الأجنبيين لكلمة «ينتمى» فى اللغة الفرنسية وهما Appartenir و Belong فى حين أن بعضها الآخر قد فرق بين المصدرين الأجنبيين لكلمة الانتماء فى اللغة الإنجليزية وهما Affillation و Belongingness.

ويرى (بارتوسيك) أن الانتماء هو:

تكوين اتصالات اجتماعية وذلك دون أية إشارة إلى طبيعة هذه الاتصالات، إلا أنه يربط بين هذا الاصطلاح وبين اصطلاحين آخرين هما «المخالطة» Sociability و«الاجتماعية» Gregariovsness ويتضح من معناهما طابعهما الإيجابى فى إقامة علاقات مع الآخرين، وهذا ما يؤكده تعريف (موراى) الذى يذهب إلى أن الانتماء هو الحاجة إلى إقامة علاقات طيبة مع الآخرين وإنشاء صداقات والانضمام إلى الجماعات والحب والتعاون.

وأيضًا يرى (لالاند) أن الانتماء علاقة منطقية بين الفرد والفصل الذى ينتسب إليه هذا الفرد.... والمقصود بالعلاقة المنطقية أنها قائمة على أسباب موضوعية ويؤيده فى ذلك تعريف (لفى بروهل) الذى يضيف أن الانتماء فى علم الاجتماع يطلق على العلاقة بين الفرد وبين الأشياء التى يملكها فعلى ذلك فالانتماء هو علاقة إيجابية ومنطقية تتضمن التأثير فى موضوع الانتماء والتأثر به.

والانتماء هو: انتساب الفرد لجماعة معينة قد تكون أسرة أو حزب أو نادى أو مؤسسة عمل معينة بمعنى أن يكون الفرد عضوًا فى الجماعة أو واحدًا منهم له ما لأفرادها من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات.

وقد ورد فى الانتماء آراء شتى للعديد من الفلاسفة والعلماء تنوعت بتنوع أبعاده ما بين فلسفى ونفسى واجتماعى ففى حين تناوله (ماسلو) من خلال الدافعية اعتبره إريك فروم حاجة ضرورية على الإنسان إشباعها ليقهر عزلته وغربته ووحدته متفقًا فى ذلك مع (ماسلو) وليون فستنجر الذى اعتبرهم اتجاهًا وراء تماسك أفراد الجماعة من خلال عملية المقارنة الاجتماعية، وهناك ما نعتبره ميلًا يحركه دافع قوى لدى الإنسان لإشباع حاجته الأساسية فى الحياة.

وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاهًا وشعورًا وإحساسًا وكونه حاجة نفسية أساسية لكون الحاجة هى شعور الكائن الحى بالافتقاد لشىء ما، وقد تكون هذه الحاجة الفسيولوجية الداخلية أو سيكولوجية اجتماعية كالحاجة للانتماء والسيطرة والإنجاز أو قوانين دافعًا وميلًا إلا أنها جميعًا تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء ذلك الانتماء الذى يبدأ صغير بهدف إشباع حاجة الإنسان الضرورية منذ ميلاده، وينمو هذا الانتماء بنمو ونضج الفرد إلى أن يصبح انتماء للمجتمع الكبير الذى عليه أن يشبع حاجات أفراده.

والانتماء مصطلح يدل على علاقة حميمة بين شخص وآخر أو بين شخص وجماعة أو شخص ومجتمع فيقال إن فلان ينتمى إلى جماعة الأطباء أو المهندسين.. إلخ.

وهذا يدل على رابطة معينة تربط الإنسان بغيره بسبب اللغة أو الوطن أو الأفكار المشتركة وغير ذلك من العوامل التى تجعله وثيق الصلة بهذه الجماعة.

ولقد تناول علماء النفس مفهوم الانتماء كحاجة من الحاجات النفسية. وقد توصل أحد العلماء إلى أن الانتماء حاجه ترتبط بالعمليات الفسيولوجية الكاملة فى المخ وتستثار داخليًّا وخارجيًّا فتؤدى إلى نشاط من جانب الكائن ويستمر النشاط حتى يتغير الموقف.

وفيما يلى أيضًا عددًا من التعريفات التى وردت فى بعض المراجع:

والانتماء معناه إحساس الفرد أو المواطن إنه جزء لا يتجزأ من هذه الأسرة وهو جزء من نسيج ذلك الوطن لا يحس فيه بالغربة أو اغتراب ويفرح لأفراحه ويحزن لأحزانه فالانتماء إحساس وإدراك نفسى اجتماعى يترجم فى شكل من أشكال السلوك الاجتماعى ودرجاته ويمكن قياسه من خلال المواقف والأفعال وردود الأفعال.

- الانتماء هو مشاعر تعبر عن العلاقة الجدلية والرؤى المتبادلة فى التأثير بين الفرد والحياة.
- الانتماء هو الصراع بين الفرد والمجتمع الذى يجعل سلوك الفرد أكثر تأثيرًا ويتحدد نوع الانتماء بتوجهات الصراع وأهدافه والقضايا المتصارع عليها.
- الانتماء هو دمج الذات الفردية مع ذات أوسع منها وأشمل ليصبح الفرد بهذا الدمج جزءًا من أسرة أو جماعة أو من الإنسانية كلها.
- الانتماء يعنى الحياة والوجود وتأثير الثقافة على الشخصية ومدى ملائمة الثقافة تمامًا للشخصية.

ـ تعريف آخر للانتماء والاغتراب:

إن اختزال (تورانس) لمفهوم الاغتراب إلى محورى (التجاذب والتنافر) هو الأساس الذى يمكن الاعتماد عليه لتوصيف العلاقة بين بناء النظام الاجتماعى والبناء الشعورى ويمكن القول بأن الانتماء أو الاغتراب نتاج تفاعل بين عوامل موضوعية (أى ما يخص النظام الاجتماعى نفسه) وبين عوامل ذاتية (أى يختلف فيها التجاوب مع المعطيات الاجتماعية من فرد لأخر) فالانتماء والاغتراب كمفهومين متضادين يمثلان محورين إحداهما سلبى والآخر إيجابى ويمكن تصور العلاقة بينهما فى شكل متصل يتأثر بالقوة وفقدانها ويتصلان أيضًا بالقدرة على التواصل والاتصال والتفاهم مع الآخرين ويتصلان أيضًا بوضوح الرؤية وتحديد الهدف على المستوى الشخصى وعلى المستوى الاجتماعى وعلى هذا فالاغتراب هو مرض اجتماعى يتفشى نتيجة لحالة رفضية للمجتمع بينما الانتماء هو:

(الارتباط بين الفرد والمجتمع يظهر على مستويات متعددة لارتباطه بعمله

وأسرته وجماعته) ويمكن التعبير عن هذا الارتباط من خلال الانجذاب والتواصل والانسجام الذى يسود العلاقات الاجتماعية.

ـ تعريف المفهوم عن طريق أبعاده وعلاقاته بالمفاهيم المضادة:

يمكن أن يتضح المفهوم من خلال المفاهيم المضادة له بأكثر مما يتضح عن طريق المترادفات وإذا كان تعريف الانتماء يشمل:

(ارتباط، انتساب، ولاء؛ حب، توافق، تواصل) تكون المقولات المنبثقة من عدم الانتماء هى صورة مضادة ويمكن التعبير عن هذا فى المصفوفة التالية:

ـ انتماء	عدم انتماء
ـ انتساب	ضياع
ـ حب	كراهية
ـ توافق	تنافر
ـ تواصل	عزلة

وإذا نظرنا للمقولات المنبثقة من عدم الانتماء وجدناها تدل على اتجاهات سلبية نحو المجتمع من كراهية وتنافر وعدم قدرة على التواصل وربما لا نجد أفضل من كلمة اغتراب صفه لنجمع هذه المقولات السلبية وكما أن كلمة انتماء قد اكتسبت معان لها عمق واتساع فى علاقة الإنسان بالوطن فإن الاغتراب هو الوجه الآخر لعدم الانتماء.

مفهوم الانتماء من منظور إسلامى:

يعنى التمثيل الراشد والتجسيد العملى الواقعى فى حياة الناس، وهذا المفهوم يفرض على الإنسان أن يعيش عقيدة وعبادة وأخلاقًا يعيشها فى نفسه وبيته وأهله ويسخر كل حياته من أجله ويعمل على رفع شأنه وتعزيز سلطته ـ قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم.

والانتماء فى الإسلام فضلًا عن كونه الطريق الصحيح لتحقيق التوازن فى علاقة الفرد بمجتمعه وتفجير الطاقات الإنسانية الخلاقة فيه لتتحول إلى مصدر عطاء

للجماعة ومورد آخر للمجتمع ينطوى على حفظ مصالح الدين والدنيا وتحقيق الخير للفرد والمجتمع، وذلك من خلال شرائعه التى شرعها الله سبحانه وتعالى العليم بمصالح العباد والخبير بشئونهم.

أهم أبعاد الانتماء

ولما كان مفهوم الانتماء مفهومًا مركبًا يتضمن العديد من الأبعاد فقد ذكر بعض العلماء أهم أبعاد الانتماء على النحو التالى:

١ - الهوية ـ Gdentity:

يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية وهى فى المقابل دليل على وجوده ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالى الانتماء.

٢ - الجماعة ـ Collectivism:

إن الروابط الانتمائية تؤكد الميل نحو الجماعية ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التى ينتمون إليها وتؤكد الجماعة على كل من التعاون والتكامل والتماسك والرغبة الوجدانية فى المشاعر الدافئة للتوحد وتعزز الجماعية كل من الميل إلى المحبة والتفاعل والاجتماعية وجميعها تسهم فى تقوية الانتماء من خلال الاستمتاع بالتفاعل الحميم للتأكد على التفاعل المتبادل.

٣- الولاء ـ Loyalty:

الولاء جوهر الالتزام ويدعم الهوية الذاتية ويقوى الجماعة ويركز على المسايرة ويدعو إلى تأييد الفرد للجماعة ويشير إلى مدى الانتماء إليها وكما أنه الأساس القوى الذى يدعم الهوية إلا أنه فى اللحظة نفسها تعتبر الجماعة مسئولة عن الاهتمام بكل حاجات أعضائها من الالتزامات المتبادلة للولاء بهدف الحماية الكلية.

٤ - الالتزام ـ Obligation:

حيث التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعية على الانسجام والتناغم والإجماع، ولذا فإنها تولد ضغوطًا فعَّالة نحو الالتزام بمعايير الجماعة لإمكانية القبول والإذعان كآلية لتحقيق الإجماع وتجنب النزاع.

٥- التـــواد:

ويعنـى الحاجـة إلى الانـضمام أو العـشرة ـ Affiliation، وهـو ـ التـواد ـ مـن أهـم الدوافع الإنسانية الأساسية فى تكـوين العلاقـات والـروابط والـصداقات ويـشير إلى مدى التعاطف الوجدانى بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة، وينمى لدى الفرد تقديره لذاتـه وإدراكـه لمكانتـه، وكـذلك مكانة جماعته بين الجماعات الأخرى.

٦- الديمقراطيـة:

وتعنى أسلوبًا من أساليب الممارسة الحياتية يجـد فيـه الفـرد تقـديرًا لذاتـه وقدراتـه وإمكاناته وينعم بالتفاهم والتعاون مع الآخـرين، ويـشعر بـالاحترام المتبـادل للـرأى والرأى الآخر من خلال الحوار والمناقشة والنقد الإيجابى.

غريـزة الانتمـاء

هناك فريق من علماء النفس يعتقدون أن الانتماء إلى المجتمع غريزة تتبـدى فى حيـاة المرء بعد أن تقيض له وسائل الاتصال بالمحيطين به فالإنسان مدنى بـالطبع أو انتمائـى بالطبع، ولكن من جهة أخرى هناك فريق آخر من علـماء الـنفس يزعمـون أن الانـتماء بمثابة مجموعة هائلة من الخبرات التى تـصنع فى داخـل الإنـسان بواسـطة مـا يعـرف بالفعل المنعكس الشرطى، وشأن الانتماء فى نظـرهم كـشأن اللغـة والـدين والعـادات الاجتماعية ونحوها.

وهناك تفسيران أساسيان للانتماء أحدهما تفسير وراثى والآخر تفسير بيئى. فالنوع البشرى صار مجبرًا على الانتماء بفضل الخبرات الهائلة التى نزلـت إليـه منـذ أن كـان فى أحضان الطبيعة وقد كان يرتمى فى أحضان الأقوياء من أبناء القبيلة لحمايته من الأخطار حوله من كل جانب.

ونحن نميل إلى القول بأن كل خبرة يكتسبها الفـرد لا تتلاشـى بـل تظـل باقيـة فى الشخصية على هيئة استعداد، والواقع أن الغريزة النوعية بمثابة عادة يكـون الفـرد قـد اكتسبها وبتعبير آخر فإن الفرد يكتسب الخبرات التى تصير غريـزة لـه، فـالغريزة هـى

عادة من عادات النوع وهكذا يمكن القول بأن غريزة الانتماء هى عادة اكتسبها الجنس البشرى وذلك بمروره بخبرات كثيرة منذ نشأته على كوكب الأرض.

- والغريزة سلوك نمطى يغطى جميع أفراد النوع من الكائنات الحية بحيث لا تكاد تكون هناك فروق فردية بين أفراد ذلك النوع فيما يبدونه من سلوك غريزى والغريزة قد تظهر منذ اللحظة الأولى من حياة الفرد من النوع أو قد تظهر فى مرحلة عمرية معينة قبل ذلك.
- ويمكن تفسير غريزة الانتماء بأنها التنازل الكامل عن حرية التفكير وحرية الإرادة والتلبس بفكر وعاطفة وإرادة من يحس المرء بالانتماء إليه سواء كان شخصًا أم جماعة أم مبدأ أو شعارًا وهنا يقصد بالانتماء المطلق وليس الانتماء النسبى؛ ذلك أن من الممكن تخيل درجات من الانتماء تنتهى فى نهاية التسلسل إلى حالة الانتماء المطلق.
- كما يمكن تفسير الانتماء كغريزة بالحب والارتباط الوجدانى فقط يكون الحب والارتباط الوجدانى بالله أو بأحد الصالحين فيكون انتماءً دينيًّا. وقد يكون الحب والارتباط الوجدانى بأحد من أفراد الجنس الآخر فيكون انتماءً أسريًّا، وقد يكون بالوطن أو بفئة ما بالإنسانية ككل فيكون انتماءً وطنيًّا أو فئويًّا أو إنسانيًّا ولكن مع تباين هذه النوعيات من الانتماء بعضها عن بعض فإنها تعبر جميعها عن غريزة واحدة هى غريزة الانتماء والمهم أن نجد تلك الغريزة الانتمائية موضوعًا أو موضوعات تتجسد فيها.
- ويختلف الناس بعضهم عن بعض فى مدى تفاعلهم مع كل بيئة من هذه البيئات الثلاث وبالتالى فإن المحصلة الانتمائية تختلف من الواحد من الناس إلى مجموعة من الناس إلى مجموعة أخرى ومن مجتمع إلى مجتمع أخر.

الدافع للحب والانتماء

إن الفرد فى أشد الحاجة إلى غيره من الناس والشعور بأنه ينتمى إلى جماعة وفى حاجة على أن يحب غيره، ويشعر أنه محبوب من غيره، وأن يعتز بانتمائه لهذه الجماعات وأن تعتز الجماعة بانتمائه إليها. أما إذا شعر الفرد بأنه غير محبوب وبعد انتمائه لهذه

الجماعات أصيب بالقلق والتوتر والحزن والغربة ومن هنا تظهر وتتضح أهمية تنظيم العلاقة بين الفرد ومن حوله، ويجب توجيه الأطفال والشباب إلى أهمية وطرق المشاركة الاجتماعية السليمة والتعاون وتنمية كل ما من شأنه إعداد الفرد إعدادًا اجتماعيًّا صحيحًا وسويًّا.

الحب والانتماء للوطن:

إن تعميق الشعور بالانتماء للوطن فى حاجة إلى آليات قابلة للتطبيق ويتطور الشعور مع مرور الوقت ليصبح السلام الوطنى بذاته مثيرًا لكل المشاعر الجميلة، فتنمية المشاعر الوطنية تحتاج إلى جهد من المخططين فى مجال التربية وعلم النفس يعاونهم المختصون فى السياسة والإعلام، وهؤلاء فى حاجة إلى أن يتجردوا من تأثير المتزمتين الذين يريدون أن يصبغوا الحياة بألوانهم الداكنة وأن نحول الحب إلى عمل، وأن نحول الانتماء إلى إنجاز إيجابى يرتقى بالوطن حبنا الأكبر.

ويعد الارتباط بأرض الوطن من مؤشرات الانتماء الوطنى والقومى.. وتعتبر علاقة الفلاح المصرى بالأرض أدعى حجة وأنصح بيان على مظاهر هذا الانتماء فيجب أن نتمسك بالوطن فى حالات هزيمته.

فتعد التضحية والدفاع مؤشر حقيقى للانتماء الوطنى بيد أن التمسك بالوطن فى حالات هزيمته تعد صورة أبلغ من صور الانتماء الحقيقى أيضًا الثقة فى الوطن حقيقة لن يتحقق الانتماء على نحو إيجابى إلا إذا توفر درجة من الثقة بين الفرد وموضوع انتماؤه، فالمجتمع لا بد وأن يوفر له مقومات الحياة المستمرة وإشباع ما لديه من مشاعر ثقة وحب.

الانتماء بين الفطرة والاكتساب:

١- هناك من يرى أن الانتماء فطرة وأنه يتبلور لدى الإنسان من خلال التلقى من البيئات بطريقة تراكمية وتفاعلية، وغريزة الانتماء تعبر عن التفكير والإدارة والتفاعل بفكر وعاطفة وإرادة من يشعر الفرد بالانتماء إليه سواء كان شخص أو جماعة أو مبدأ أو شعارًا.

٢- وفى المقابل هناك من يرى بأن الانتماء مكتسب من البيئة ويعترفون بوجود

الاستعدادات التى تسمح للإنسان باكتساب الخبرات من البيئة وهناك فى الواقع بيئات متباينة من حيث النوعية يتفاعل الإنسان معها ويلعب دورًا فى تشكيل انتمائه.

ولكن يمكن القول بأن الانتماء قيمة جوهرية فطرية أساسية فى طبيعة الإنسان وهو أيضًا مكتسبًا ونسبيًّا زمانًا ومكانًا بفعل البيئة الطبيعية والاجتماعية للإنسان.

الدافع إلى الانتماء

الانتماء دافع اجتماعى هام، وهو يختلف عن الدافع إلى الإنجاز، ويكاد أن يكون مناقضًا له تمامًا، والشخص الذى لا يكون لديه أساسًا الدافع إلى الإنجاز قد يقدم للمجتمع إسهامات هامة، ولكنك قد لا ترتاح كثيرًا للحياة معه ولكن هناك أناسًا آخرين أكثر اهتمامًا بالعلاقات الإنسانية، ولنتذكر أن الأفراد الذين يكون دافعهم الأساسى إلى الإنجاز يفضلون العمل مع الخبرات من أجل أن يتموا الأعمال. أما أولئك الذين يكون الدافع إلى الانتماء قويًّا لديهم فيفضلون العمل مع الأصدقاء أو مع الرفاق المخلصين حتى وإن تأثر العمل تبعًا لذلك، ومن الواضح أن هناك فرقًا أساسيًّا عند تحديد الأشياء التى هى أكثر أهمية.

كيف ينشأ الدافع إلى الانتماء لدى البشر؟

إن الانتماء هو أولًا وأخيرًا انتماء لجماعة من البشر قد يتسع نطاق هذه الجماعة لتصبح «الشعب» أو «الأمة» كما يضيق نطاقها لتصبح «العائلة الصغيرة» أو «العائلة الكبيرة» أو حتى أضيق من ذلك حتى بعض الأحوال المرضية ـ وتبدأ عملية التدريب على الانتماء منذ الطفولة الأولى وقد تستمر طوال العمر ومن ثم فهى لا تقتصر على الأسرة وحدها؟ بل تشاركها فيها المدارس، ودور العبادة والجامعات وأجهزة الإعلام... إلخ.

وتبرز دلائل انتمائية الإنسان واجتماعيته فى العديد من المواقف مثل:

١- الشعور بالحنين إلى الوطن.

٢- الحنين إلى الجماعة عند الابتعاد عنها.

٣- تذكر الأيام السعيدة التى مر بها.

٤- نسيان كل ما هو سيء وقبيح فى مجتمعه البعيد عنه.

٥- شعوره بالخوف والقلق إذا وجد نفسه وحيدًا أو بين جماعة غريبة عنه.

٦- استرداد الإنسان لثقته وحيويته حين يجد نفسه بين أهله وأصدقائه كل ذلك يؤكد أن الإنسان مرتبط بأوامر المجتمع والانتماء وهو ينتمى جسميًّا (بيولوجيا) وروحيًّا (بالمثل والمبادئ) وعقليًّا (بالثقافة والتربية النفسية) بالإضافة على انتمائه الفطرى الغريزى.

إن الوليد الإنسانى وبحكم تكوينه الطبيعى لا بد أن يعتمد فى بقائه حيًّا على الآخرين ولا بد أيضًا أن يكون أولئك الآخرون بحكم عملية الإنجاب من أبناء الجيل الأكبر وما أن ينشب ذلك الوليد عن الطوق حتى تتحول تلك الضرورة الطبيعية الفطرية على ضرورة اجتماعية لا تقل عنها خطرًا فحتمية الاعتماد على الكبار تستمر حتى الرشد أى حتى الاستقلال متمثلًا فى رخصتى الزواج والعمل وطوال هذه الفترة التى تطول كلما تقدم المجتمع لا يقتصر تمثيل الكبار على الأب والأم فحسب بل يتسع نطاقه ليشمل كافة نماذج السلطة فى المجتمع المدرس، رجل الدين، رجل الشرطة، الإعلاميون... إلخ. من خلال هؤلاء جميعًا وعبر مسيرة طويلة يحصل الفرد فى النهاية على الاعتراف بحقه فى الوجود المستقل اجتماعيًّا واقتصاديًّا أى أن يصبح من هؤلاء الكبار بشكل أو بأخر وخلال ذلك قد تم تدريبه الأساسى على عملية الانتماء كما صاغها الكبار.

ومن دوافع الانتماء للأسرة والمهنة والوطن ما يأتى:

١- الأمان: وعرف أن حاجة الفرد للاطمئنان على نفسه وعلى شئون حياته وثقته فى احترام الآخرون لحقوقه وشعوره بالعطف والمودة مع المحيطين.

٢- التوحد: وهو حاجة الفرد للانضمام لجماعة ما والتصرف بطريقتها والسعى لتحقيق أهدافها لتصبح الجماعة هى الكيان الأكبر الذى يستمد منه وجوده.

٣- التقدير الاجتماعى: وهو حاجة الفرد للحصول على التقدير المناسب من المحيطين به على جهوده فى تحقيق أهداف الجماعة.

٤- الإطار التوجيهى: وهو الحاجة على نسق منظم من القيم والمعايير يوجه السلوك ويحكم الحياة الاجتماعية.

٥- تحقيق الذات: وهى حاجة الفرد لتحقيق قدرته الأصلية وإمكاناته الكامنة من خلال ما توفره البيئة المحيطة به أو الجماعة التى ينتمى إليها من فرص لتحقيقها.

٦- القيادة: عرفت بأنها الرغبة فى القيام بدور قيادى داخل الجماعة يعبر فيه الفرد عن قدرته على تبنى أهداف الجماعة والتعبير عن مطالبها.

٧- المشاركة: وعرفت بأنها التعاون مع أفراد الجماعة والمساهمة فى أنشطتها المختلفة والمشاركة الإيجابية المسئولة عن اتخاذ القرار وتحقيق أهداف الجماعة.

٨- الرضا عن الجماعة: وهى شعور الفرد بقدر الجماعة وأهميتها ومكانتها بالمقارنة بالجماعات الأخرى وكذلك الرضا عن أعضاء الجماعة وسلوكهم فى المواقف المختلفة.

الإحساس بالانتماء:

هو ارتباط الفرد الشديد بالجماعة التى ينتمى إليها وذلك لأن هذا الفرد شعر من خلال وجوده بالجماعة بالأمن والاستقرار، وأن هذه الجماعة أشبعت وتشبع له حاجاته المادية والنفسية والاجتماعية، ووجوده بها حقق له بعض أهدافه وأشبع بعض دوافعه وحاجاته ومن ثم فهو يرتبط بشدة بهذه الجماعة لأن لديه إحساس قوى بالانتماء لها، من ثم أيضًا يأتى ولاؤه للجماعة بعد إحساسه بالانتماء لها فيقدم ولاؤه لهذه الجماعة ويكون لديه استعداد لبذل الجهد والتضحية ببعض أهدافه ودوافعه فى سبيل المحافظة على استمرار هذه الجماعة وبقائها.

ولهذا تبقى الجماعة قوية لإحساس الأفراد القوى بالانتماء لها، وولاؤهم لها، ويستمر التفاعل الإيجابى والتأثير والتأثر ـ effect and effect المتبادل بين الأفراد والجماعة التى ينتمون إليها، فالأفراد يؤثرون فى الجماعة ويتأثرون بها، والجماعة تؤثر فى أعضائها وتتأثر بهم.

فالانتماء يعنى إحساس الفرد أو المواطن أنه جزء من كل، فإذا كان عضوا فى أسرة فهو جزءًا لا يتجزأ من هذه الأسرة، وإذا كان فردًا فى مجتمع فهو جزء من بنية هذا المجتمع يعيش فيه ويتعايش معه ويتفاعل مع تفاعلاته، ويعتنق أيديولوجيته، ويتمثل

ثقافته ويتمسك بها ويكون ولاؤه أولًا وأخيرًا لهذا المجتمع أو الوطن، فإذا تعرض الوطن لخطر دافع الفرد عنه كمواطن، وإذا انتصر فرح لانتصاره وإذا انحسر أو انكسر تألم لانحساره؛ بمعنى أخر هو جزء من نسيج ذلك الوطن لا يحس فيه بغربة أو اغتراب ولا يحس فيه باضطهاد يوصله للاكتئاب، يفرح لأفراحه ويحزن لأتراحه، يفديه بالروح إذا اقتضى الأمر، وهذا لا يتأتى إلا إذا أحس المواطن أن الوطن يرعاه ويحميه ويحتويه ويعمل من أجله وبصفة عامة، فالانتماء إحساس وشعور وإدراك نفسى اجتماعى يترجم فى شكل من أشكال السلوك تتباين درجاته، ويمكن قياسه من خلال المواقف والأفعال وردود الأفعال ومدى مشاركة المواطن أو عزوفه، ومدى التعاون أو الصراع ومدى الالتزام بالسلوك السوى أو الانحراف إلى السلوك المرضى ومدى التماسك أو التفكك الاجتماعى وغير ذلك من المعايير.

هذا ومع الإيمان بأن مصر حالة خاصة يحكم موقعها وموضعها تتمثل خصوصيتها فى قدرتها على مواجهة الخطر وقدرتها على التركز حول الذات عند الضرورة، إلا أنه نلاحظ فى العقود الأخيرة حدثت تحولات بنائية حادة وسريعة ومتلاحقة أثرت بشدة على مكونات البنية الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية فى المجتمع، كما أثرت على الإنسان المصرى لدرجة أحس معها البعض أن النسق القيمى يتعرض لخطر، وأن الانتماء كقيمة إيجابية بدأت تخبو جذورها وتقل درجتها لدى البعض، وتمثل ذلك فى العديد من المظاهر والمواقف.

إن الانتماء الصحيح مَعين لا ينضب للقوة الدافعة والحماس الدافق، فهو سائق ذاتى للنشاط الموصول، واحتمال الصعاب فى سبيل المجتمع الذى ينتمى إليه الإنسان. إن الالتزام بمعايير المجتمع، والدافعية للعمل الإيجابى، هما نتاج الانتماء، لذا فإن الانتماء ـ قديمًا وحديثًا ـ ضرورة تربوية، وحتمية حضارية، ففى غيبة الانتماء تتحول القيم الدينية إلى مغالاة، والقيم الاجتماعية إلى علاقات نفعية، والقيم الاقتصادية إلى استغلال.

والانتماء يعنى «ارتباط الفرد بجماعة ما، واستشعار المسئولية تجاه هذه الجماعة»، والجماعة فى علم النفس الاجتماعى تعنى وجود حقيقة موضوعية مشتركة بين جَمع من الناس، فمثلًا الذين يعيشون فى منطقة جغرافية ينظر إليهم على أنهم جماعة واحدة، أى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد هو جماعته.

فالفرد يسعى إلى الانتماء ولا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة، وهو يلتمس فى الجماعة إشباع حاجته إلى الانتماء وحاجته إلى التقدير الاجتماعى، والقبول والاحترام والمكانة الاجتماعية، ويتضح الميل إلى الاجتماع نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين فى المجتمع على مستوياته المختلفة، وهنا يرى الفرد الجماعة وكأنها امتداد لذاته، فالانتماء إلى الجماعة أحد دوافع الفرد السيكولوجية المهمة التى توجه سلوكه وتشكل علاقاته الاجتماعية وبالتالى يشعر بالقوة والأمن، وكذلك تراه يعمل دائمًا من أجل هذه الجماعة وتقويتها، فهو كما يقول موارى ـ Murrey «وجوده ضرورى فى وسط مادى اجتماعى وحضارى، وهو لا يستطيع أن يكون فى عزلة».

هرم ماسلو وعلاقته بالحب والانتماء

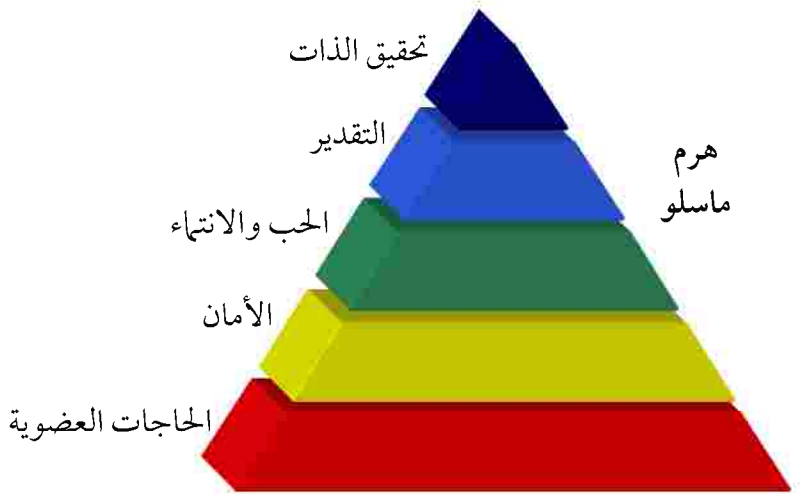

يرى ماسلو أن لدى الإنسان عدد من الحاجات النظرية افترض أنها مرتبة حسب قوتها، وتتدرج فى قوتها لتصل إلى أعلى مستوى فالحاجات لدى ماسلو متدرجة من الحاجات الفسيولوجية إلى حاجات تحقيق الذات.

المستوى الأول:

يوجد فى قاعدة الهرم ويمثل حاجات فسيولوجية أساسية مثل الحاجة إلى الماء وإلى الطعام وإلى الجنس.

المستوى الثانى:

يلى المستوى الأول متضمنًا حاجات الأمان وهى توجه سلوك الإنسان نحو التحكم فيما حوله من كائنات البيئة وأحداثها من إشباع وذلك للاطمئنان الآمن النفسى والمادى.

المستوى الثالث:

يتضمن إشباع حاجات الحب والانتماء وهذه الحاجات توجه سلوك الإنسان نحو أن يكون محبًا وأن يكون موضوعًا للحب.

المستوى الرابع:

يتضمن الحاجة إلى تأكيد الذات، تلك التى تشبع للإنسان احترامه لنفسه واحترام الآخرين له وتوجه سلوكه نحو الإنجاز.

المستوى الخامس:

يتضمن الحاجة إلى تحقيق الذات التى بإشباعها يصبح الإنسان مميزًا وسط أفراد الجماعة والمجتمع.

نلاحظ هنا أن الحب جاء فى المرتبة الثالثة.. يقول ماسلو أنه يجب أن يحقق الإنسان أولًا: حاجاته الجسدية والأمان، كى يكون قادرًا على الحب والانتماء.

يرى ماسلو أن الخاصية الرئيسية للشخصية تكمن فى وحدتها الجوهرية وتلك الوحدة من أبرزها الحب وروح المرح.

نظرية ألدرفر:

تعتبر نظرية ألدرفر من النظريات التى تدور حول الحالات الذاتية للرضا والرغبات، فالرضا يهتم بحصيلة الأحداث بين الأفراد وبيئتهم وهو استجابة ذاتية تشير إلى الحالة الداخلية للأفراد الذين حصلوا على ما يرغبون وهو يعد مرادفًا للإشباع.... فالرغبة هى أكثر ذاتية لأنها تشير إلى الحالة الداخلية للفرد والتى لها علاقة بالحاجات.. وتتبع هذه النظرية مدخل النظام المفتوح لفهم الشخصية الإنسانية.

وقد استنبط أو ابتكر ألدرفر نظريته للحاجات الإنسانية التى تتكون من ثلاث فئات أولية هى:

١- **الحاجة إلى الوجود**: تعكس متطلبات الأفراد لتبادل المواد كالحاجة إلى البلوغ والتوازن الداخلى للجسم.

٢- **الحاجة إلى الانتماء**: تعترف أن الأفراد لا يعتبرون وحدات مكتفية ذاتيًّا لكنهم يجب عليهم الشروع فى التعامل مع بيئاتهم الإنسانية فالخاصية الأساسية للحاجات إلى الانتماء هى أن إشباعها يتوقف على عملية التقسيم أو التبادل. فالقبول، والفهم، والتأثير تعد كلها عناصر لعملية الانتماء.

٣- **الحاجة إلى النمو**: وتظهر من رغبة النظم المفتوحة لزيادة النظام الداخلى والتمايز خلال فترة من الزمن كنتيجة للذهاب إلى ما وراء البيئة.

ولقد وضعت نظرية ألدرفر الحاجات الأمنية إما تحت الأمور المادية أو تقدير الذات.

المشاعر الإنسانية الجماعية تحرك التاريخ

الإنسان كتلة من المشاعر الإنسانية بعضها موجود بالفطرة والآخر مكتسب ومصقول بالخبرة والمعرفة والثقافة ويحمل الإنسان مشاعر متناقضة حب وكراهية وأنانية وعطاء وأخذ؛ أى أنه يحمل فيها أخلاقيات اصطلاح على تسميتها (الخير) فى مواجهة المفاهيم المضادة التى نسميها (الشر) وتتغير هذه المسميات حتى وإن حدثت خلافات داخل الأسرة بين الحين والآخر فنحن نقول (لن يتحول الدم إلى مياه) كناية عن صلة الدم؛ أى أن الأسرة أقوى من أى شىء أخر دون منازع. ويكبر الطفل فيتعرف على الأسرة الأكبر ويتفهم (أنا وابن عمى على الغريب وأنا وأخويا على ابن عمى). أى أن للانتماء داخل الأسرة مراتب ودرجات، ثم يمتد الانتماء فيكون إلى القبيلة، وقد تستقر المشاعر الجماعية فى ظروف معينة فيقع صدام بين قبيلة وأخرى بسبب الكلأ أو النفوذ، فيتحول الانتماء القبلى إلى صراع دموى مسلح؛ ثم يذهب الطفل إلى المدرسة ويرتبط بانتماء جديد هم التلاميذ فى الفصل، وتحدث الفئة بين الصبيان أو البنات؛ ولكنه انتماء مؤقت فغالبًا ما يتأكل من الزمن خلال العبور

لسنوات النضج ثم بسبب التغيرات وفق ظروف الحياة المختلفة وينتقل الصبى أو الفتاة إلى المدرسة الثانوية فتتكون انتماءات مؤقتة أو دائمة.

الحضارة الجمعية والانتماء

لم يحدث فى تاريخ البشرية أن قامت حضارة غير جمعية بمعنى أنها نسيج من المعتقدات والتقاليد والعادات والأدب.. إلخ تصدر من المجتمع لتعود إلى المجتمع نفسه توحد بينه وبين أفراده فيصبح (الكل فى الواحد والواحد فى الكل). لم يستطيع علماء تاريخ الأجناس البشرية ولا علماء الحضارات المقارنة أن يقعوا على حضارة لا تؤدى وظيفتها فى الحفاظ على وحدة المجتمع الذى هى حضارته، كما لم يقعوا على حضارة عاشت بفعل أدائها هذه الوظيفة سنذكرها أقل من آلاف السنين.

تعلمنا من القرآن أن الله غنى حميد وأنه سبحانه وتعالى ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ جملة وجمعًا، ونهتدى فى القرآن إلى خطاب أمر أو نهى موجه إلى فرد إلا ما كان خطابًا للرسول عليه الصلاة والسلام أو ما جاء فى قصص القرآن. أما غير هذا فالخطاب الأمر أو الناهى موجه إلى الجمع أو المفرد النكرة الذى يفيد الجمع فهم المؤمنون أو المؤمنات أو هم من أمن بالله واليوم الأخر.

وتتغير المشاعر للشخص الواحد حتى فى اليوم الواحد ففى ساعة رضا وصفاء يكون الإنسان ضحكًا ومبتسمًا ومتفائلًا ولأسباب قد تكون معلومة للإنسان وفى أحيان كثيرة مجهولة يتغير (المزاج) وينقلب التوجه العام بما فيه المشاعر والأحاسيس.

المشاعر الجماعية تتراكم مع الانتماءات:

الإنسان وأحيانًا بعض أنواع الحيوان كائن اجتماعى أى يكره أن يعيش بمفرده ولذا فإن العقوبة فى السجون تكون بعزل للإنسان فى محبس انفرادى (فالمرء بإخوانه) ويشعر الإنسان بالدفء بمجرد معيشته بين جماعة من البشر وقد عبر جدودنا عن ذلك فى المقولة التى ما زلنا نرددها كثيرًا (جنة من غير ناس ما تنداس) فالطفل فور ولادته يشعر بالحنان فى صدر أمه ولذا تكون كلمة (ماما) ثم (بابا) ويتلوها التعرف على

إخوته الذين يلعبون به ويصبح الانتماء إلى الأسرة الصغيرة هو أقوى الانتماءات ويظل الفرد متمسكًا به منذ لحظة الميلاد إلى الممات.

أسس الانتماء وفوائده

يتحقق انتماء الفرد للجماعة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة بكافة مؤسساته وفقًا للأسس التالية:

١- إذا كانت الثقافة التى ينتمى إليها الفرد تحقق له حاجاته.

٢- أن يكون لدى الفرد استعداد للقيام بدوره كعضو فى الجماعة.

٣- أن يثق الفرد فى أن فهمه للمعايير الاجتماعية يشاركه به الآخرون.

ويحقق الانتماء فوائد عظيمة للإنسان والمجتمع معًا أهمها ما يلى:

على المستوى الفردى: يعتبر الانتماء من العوامل الهامة التى يشعر بها الإنسان عند فقدها بالضياع وبغير الانتماء إلى وطن أو جماعة أو أمة يفقد الفرد ذاته ولذلك لم يعد انتماء الفرد على وطنه أو أمته أمرًا عرضيًا له أن نختاره أو يرفضه بل هو فى صميم وجوده.

على مستوى الجماعة: تحقق حب الوطن ورعايته والسعى إلى تقدمه مع أفراده كما أنه يبعث على احترام أراء الآخرين وتحقيق الالتزام بقيم المجتمع.

حاجات الانتماء ومقدماته

يحتاج الإنسان إلى الانتماء عندما يرحل الأهل أو يطول غياب المحبين والأصدقاء والأقارب والجيران والشعور بحاجة ملحة إلى وجود زوجته وأطفاله بجانبه ويمكن للإنسان أن يقلل من الحديث عن نفسه ويبدى إعجابه بسماع أخبار عن الغائب أى أن يجلب السرور والرضا لغيرنا.

- فالحاجة للانتماء من أهم الحاجات التى يجب أن تحرص الأسرة على إشباعها لدى الطفل لما يترتب عليها من سلوكيات مرغوبة يجب أن يسلكها الطفل منذ صغره وحتى بقية مراحل عمره، أما فقدان الانتماء فيعتبر من أخطر ما يهدد

حياة أى مجتمع، وينشر الأنانية والسلبية، وفى المقابل يؤدى الانتماء إلى التعاون مع الغير، والوفاء للوطن والولاء له ويرتبط بالانتماء بعض القيم مثل (العطاء، التضحية، التعاون مع الآخرين) وهذا يلقى على الأسرة مسئولية كبرى نحو التركيز على إظهار مواقف تاريخية تبين بطولة القادة والزعماء فى الدفاع عنه وفى تقدير هؤلاء الأطفال لأنفسهم، وبشكل عام فإن للعلاقات الأسرية أثرًا إيجابيًّا فى تكوين الشعور بالأمن وتطور مفهوم الذات الإيجابى عند الطفل.

- وحيث أن نسق الأسرة ـ مثلة فى ذلك ـ مثل سائر الأنساق الأخرى يكون رهنًا للظروف والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فإنه بالتالى يكون عرضة للتأثر بعمليات التغير والأحداث التى تطرأ على المجتمع مثل الحروب وقد أشارت الكثير من الدراسات إلى أن الحرمان ومعايشة خبرات الحرب تترك أثارًا نفسية على الأطفال لا تزول بانتهاء الحرب بل تظل كامنة وتتراكم لتفرز كثيرًا من ردود أفعال الأطفال غير السوية حيث أن مفهوم الطفل عن ذاته يكتسبه فى مراحل النمو الأولى، حيث تلعب الانفعالات مع الأشخاص المهمين فى حياته خصوصًا والديه دورًا كبيرًا فى ذلك ويتأثر مفهوم الذات على حد كبير بالعلاقات الأسرية القائمة بين الطفل ووالديه، فالفروق فى الأجواء الأسرية وطرق التنشئة تحدث فروقًا بين الأطفال فى مكونات الشخصية، وفى تقدير هؤلاء الأطفال لأنفسهم، وبشكل عام فإن للعلاقات الأسرية أثرًا إيجابيًّا فى تكوين الشعور بالأمن، وتطور مفهوم الذات الإيجابى عند الطفل.

- وشعورنا بالانتماء إلى أسرنا هو أن نعتبر أنفسنا غصنًا من شجرة كبيرة نشعر بأهلنا ومتاعبهم نشاركهم أحزانهم وأفراحهم، لا نشعر كأننا غرباء وأن أسرنا مفروضة علينا فرضًاكم من شخص فى كل أسرة يشعر بالنقمة والسخط من عائلته ومن وضعه ويتمنى لو أنه ولو عند أناس أخرين ضاربًا عرض الحائط كل التضحيات التى تقوم بها أسرته تجاهه فما سبب شعوره هذا؟ وكيف يتحقق الانتماء داخل الأسرة؟

يحتاج الإنسان الراغب فى الانتماء إلى المقومات الآتية حتى يتحقق الانتماء:

الحب الإلهى:

فلا انتماء بدون الحب ـ الحب هو المعبر إلى الآخر وهو وسيلة الأبعاد داخل الأسرة وفى الجماعة الوطنية ـ التيسرية عمومًا. فالحب يعطى بسخاء ويهب دون انتظار المقابل ويصفح حتى عن الأعداء ويتحد بالآخرين ويتواصل معهم فى كل ظروف حياتهم فرحًا مع الفرحين وبكاء مع الباكين.

الوعى:

فلا انتماء بدون وعى ـ الإنسان الواعى بذاته وبالآخر والرب والوطن هو الإنسان القادر على ممارسة الانتماء ـ ويحتاج أن يتواصل على كل المستويات داخل الأسرة والجماعة والمجتمع، ونحتاج أن نتثقف وندرس كل تيارات الفكر المعاصر وظروف المجتمعات المختلفة وهموم الإنسان فى كل مكان ـ ونحتاج إلى ذهن مفتوح وقلب مفتوح ولذا يجب علينا أن نتفاعل مع الآخرين عطاءً أو أخذًا.

المرونة القوية:

فالإنسان غير المنسجم مع الآخرين وربما لا يعيشون أو يتبعون قيمه ومبادئه وإيمانه ولكنه لا بد وأن يتعامل معهم.

الانتماء للوطن:

قد لا يفخر شخص بانتمائه لمصر إلا أن قلوبنا تهتز فخرًا حينما نسمع نشيدًا لمصر أو حينما نسمع عن انتصار مصرى من أبناء مصر سواء فى ميادين السياسة أو العلم أو الفن أو الأدب أو الرياضة وغير ذلك فما أسعدنا بمصر وما أسعدنا بتاريخنا وحضارتنا.

- وما أسعدنا بمصر ـ التى باركها الله منذ القدم وكيف لا تسعد بالانتماء إليها وكيف لا نتقدم لخدمتها ونرفع رايتها عاليًا فى كل المحافل الدولية.

مقومات الانتماء فى فعَّاليته وإيجابيته :

اعتبرت الدراسات أن مقومات الانتماء تنقسم إلى أجزاء الأول الذات والثانى الثقافة والتفكير والتعلم والثالث أسلوب الحياة وسوف نتحدث عنها بإيجاز فيما يلى:

أولاً : الذات :

اعتبرت الدراسات أن الذات من أبرز المتغيرات المحورية التى تمثل مقومات للانتماء فى فعَّاليته وإيجابيته.... ولقد تناولت الدراسات قضية الذات كمتغير أساسى محورى للانتماء بأكثر من طريقة نوجزها فيما يلى:

- الذات فى ضوء وحدة الشخصية وفى علاقتها مع الآخرين.
- فى القدرة على مواجهة المواقف وتحمل عواقبها.
- فى القدرة على التعبير عن القدرات.
- فى طرح معانى للوجود والحياة من خلال خيارات متعددة وأهداف وأحلام يسعى الفرد لتحقيقها.
- فى تحقيق الذات بمعنى التعامل بفعَّالية مع مشاكل الحياة.
- فى ضوء استخدام الوعى الذاتى لتحقيق معنى واضح للحياة ومعنى للوجود.
- فى استخدام الوعى بالذات كمدخل للانفتاح على رؤى الآخرين وليس التمركز حول الذات.
- فى الوعى بالذات بما له من مخاطر صعبة نتيجة اكتشاف الفرد لذاته.
- فى وعى الذات بالسلبيات ومحاولة تنقية الذات من الحقد والإحباط والتقليل من الآثار السلبية.
- فى الصلة بين الانتماء وبين التدعيم الذاتى للوصول إلى الذات فى إيجابيتها واستقلاليتها الذى من شأنه أن يجعل الانتماء درجات لا يستطيع أن يتمتع كل فرد بالانتماء بالدرجة نفسها.
- فى الوعى بالذات كإدراك شخصى متبادل بين الفرد والمجتمع يتحدد فيه الانتماء الإيجابى بمدى تقارب الرؤى حول تحقيق الذات.

ثانيًا: الثقافة والتفكير:

ولقد طرحت الدراسات قضية الثقافة والتفكير والتعليم كمتغير أساسى محورى للانتماء بأكثر من طريقة:

- حيث اعتبرت متغيرات الانتماء فكرية تتمثل فى القدرة على تبنى معانى عديدة للفكرة الواحدة.
- قدرة الفرد على تعديل بعض الأفكار بأفكار أكثر إيجابية.
- قدرة الفرد على التخلى عن بعض الأفكار التى ليس لها وظيفة إيجابية بأفكار جديدة.
- التصحيح الذاتى الإيجابى لمسار التفكير وعدم الازدواجية والتناقض وقدرة الفرد على تنقية الأفكار من الأفكار اللاعقلانية، الخرافات، أخطاء التفكير، التعصب والجمود.
- التعددية الثقافية واحترام الاختلافات، ربط التعليم بالواقع والبيئة والابتكار.
- احترام مبادرات وحريات المتعلمين بأن يعطى فرصة للتصحيح الذاتى الإيجابى.
- اكتساب المتعلم عادات التفكير المنتج وتحقيق التوازن بين الجوانب المعرفية والجوانب الوجدانية والاهتمام بالعمليات العقلية التى تنمى أكثر من العائد يعتبر من المتغيرات المحورية للانتماء.
- الانتماء له علاقة وثيقة الصلة بالجوانب الاجتماعية الأخلاقية وبتنمية المفاهيم الأخلاقية.
- النظرية الفلسفية الجدلية التفاعل المتبادل بين السبب والنتيجة قابلية التعلم من متغيرات الانتماء فى إيجابيته وفعَّاليته.
- تعليم الأفكار وتبنى الأسلوب العلمى فى التفكير والقدرة على تبنى معانى الأسلوب العلمى فى التفكير والقدرة على تبنى معانى جديدة للأفكار.

ثالثًا: أسلوب الحياة:

اعتبرت بعض الدراسات أن أسلوب الحياة من المتغيرات المحورية ويمثل مقومات الانتماء فى فعَّاليته وإيجابيته على النحو التالى:

- الاهتمام بالمعانى الجديدة للحياة والجوانب المشرقة والأنشطة السارة من متغيرات الانتماء فى فعَّاليته وإيجابيته.
- الهواية، الرياضة، الفن، الموسيقى، الجمال، المرونة، البساطة والإبداع من المتغيرات المحورية وثيقة الصلة بالانتماء فى إيجابيته.
- مفردات الذكاء الوجدانى، الرشاقة، السعادة، الانبساطية والوعى بالتفكير فى تنمية الخيال والتحرك من الانطوائية إلى الانبساطية متغيرات إيجابية للانتماء.
- الملل والروتين ورتابة الحياة... الحياة بمستوى غير ملائم من التواجد من المتغيرات المحورية وثيقة الصلة بالانتماء فى سلبيته.
- الحرمان والظروف الضاغطة، والإحباط، والحساسية، والعناد، والقلق من المتغيرات وثيقة الصلة بالانتماء فى سلبيته.
- اعتبرت الدراسات أن الشخصية من المتغيرات المحورية للانتماء الإيجابى بما لها من أبعاد نفسية إيجابية مثل الحساسية للمواقف، الدافعية، الإرادة، المشاركة.
- المتغيرات الإيجابية والإدراك المتبادل والقدرة على الاندماج والتوحد والالتزام.
- القدرة على مواكبة التغيرات والتحولات السريعة والإسهام فيها.

عرض قضية الانتماء من منظور فلسفى معاصر

نقطة البدء لفهم الانتماء من منظور فلسفى معاصر يتشكل من خلال محاور أساسية أهمها الانتماء فى علاقة الذات مع الآخر كمدخل للاستجابة للعلاقات الأسرية التربوية، واكتساب المفاهيم.

مفهوم الانتماء له علاقة بمفهوم الذات فى تواصله مع الآخر والانتماء فى إيجابيته معناه تعبير عن مشاعر ترتبط بالآخر، مثل الحب والتلقائية والسعادة، وله وظيفة أساسية هى النمو واكتشاف قيمة وجوهرها فى علاقته مع الآخر.

ومن أهم مميزاته ومعالمه الالتزام، ولكن بحدود وبما يسمح بإطلاق قدرات الانتماء الإيجابى البناء، والذى يعكس مدى تطلع الفرد وطموحه لتحقيق ذاته، ومن خلاله

يكون الفرد متوافق توافقًا مبنيًّا على فكرة الصيرورة ـ Becoming والإيجابية وتصحيح المسار ويعكس العلاقة الحقيقية، وليس الانعكاس أو الامتداد أو الاستخدام أو التسلط والإجبار.

فالانتماء فى تصور الفلاسفة ينمو بالتعددية والتفرد والسماح بالاختلاف وإقامة علاقات حقيقية متوازنة، ولا يتعارض مع الإبداع، والطموح، ومواكبة التغير، والتطلع إلى الأحسن، ويتطور بالمسئولية والإرادة الحرة والثقة فى قدرات الفرد.

وتتمحور التصورات المستمدة من الفلسفة فى أن هناك اتجاهات ثقافية، خاطئة مبنية على فكرة أن الإنسان لو ترك لحريته وطبيعته سيفعل الشر، وهذا الفكر يقود بالتأكيد لكارثة وتدمير، لأن ذلك معناه اتهامك للفرد لحين يثبت العكس، فى حين أن العكس هو الصحيح، وأن الأخطاء التى تحدث من البشر لا تغير طبيعة البشر الأصلية الجيدة هكذا يجب أن تكون التوجهات الأسرية والتربوية.

إن الانتماء الأساسى هو الانتماء للبشرية والإنسانية، حيث يشترك البشر فى وجود فكر وقلب وروح واحدة، وأى اختلافات بعد ذلك تعد قشور سطحية ليست جوهرية، وكان الأصل فى الحياة هو الانتماء بحكم التشابه بين البشر، وما يترتب عليه من شعور بالحب والسعادة والتلقائية.

كما أن التكيف مع المجتمع أساس للوجود والنمو، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينمو فى فراغ، والتمرد بالنسبة لهؤلاء الذين يثورون على التقاليد الاجتماعية والأسرية يعنى الفشل فى فهم أهمية الانتماء للمجموعة، ولا بد هنا أن ننمى لدى هؤلاء ردود أفعال غائبة عن التفكير ودعم السلوك التكيفى، لتحقيق مزيد من النضج والنماء، وأن نخير الفرد بين أن يقبل بوعى وإرادة القواعد المتفق عليها أو يرفضها مقابل قبول بعض القيم التى اكتشفها وتبناها. ويميز (Gabirol 2001) بين الانتماء السلبى والذى فى تصوره يتضمن عدم القدرة على التجاوب الفكرى والسجن المعنوى ويحمل فى طياته معنى التسلط والإجبار على اتجاه معين سواء من المؤسسات التربوية أو الأسرية أو الإعلامية.

وأن الانتماء أساسًا هو مشاعر تلقائية قوية، تعلمنا أن نخاف منها وأنه لا يصح

التعبير عنها لدرجة أننا نسينا وأهملنا التعبير عن المشاعر بما فيها مشاعر الانتماء، واعتدنا على عدم التعبير وهذا بعدًا ثقافيًّا يعتمد على المفهوم الخاطئ للطبيعة البشرية وأن إرادة الإنسان والاختيار تتوسط بين المثيرات والأسباب بين الأفعال والاستجابات، وعلى ذلك فإن وراء كل تصرف للإنسان إرادة قوية مؤثرة محملة بالقوة والانتماء وتدفع لتصحيح المسار الذاتى، وتجعل الإنسان يسقط ويقوم، وهذه القوة الكبيرة هى من الله.

ويجب ألا تخاف الأسرة والمؤسسات التربوية من السماح بإطلاق تلقائية الفرد والسماح بإعطاء المزيد من الثقة فى القدرات الفردية.